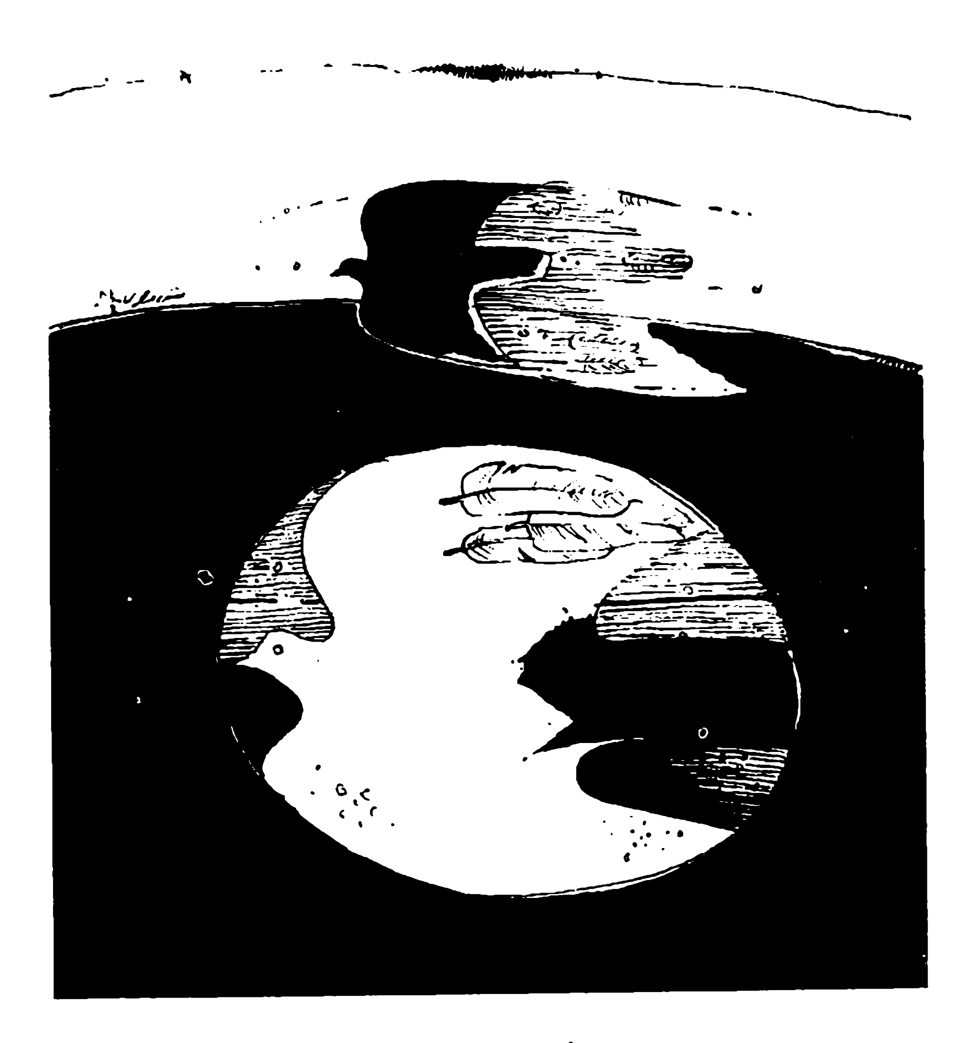
أنذرتك بحمامة بيضاء

قصائد



مرام مصري
محمد سيدة
منذر مصري

منذر مصري ، مرام مصري ، محمد سيده ★ أنذرتك بحمامة بيضاء – قصائد ★ دمشق – ١٩٨٤



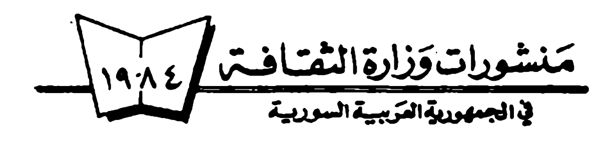
أنذرتك بحمامة بيضاء

منذر مصري

مرام مصري — محمد سيدة

أنذرتك بحمامة بيضاء

قصائد ..



الغلاف والرسوم الداخلية

منذر المصري

تقديم

أي إنذار هذا ، إنذار بحمامة ، حمامة بيضاء ، من يصدقه ، من يخشاه . لم لاتنذره برمح . وإن كنت مصراً على الطيور ، فأنذره بغراب ، أو على الأقل بحمامة سوداء . أبهذه السذاجة أنت ، أم بهذا الضعف ، حيث لاسلاح لديك له بريق ، له اصطكاك . أم بهذه القوة أنت ، بهذه الرقة ، حيث اثرت ألا تقسو ، ألا ترهب . ثم إنك تنذر ، تنذر من ، تنذر ماذا ، تنذر السواد ، إذن كان عليك أن تشعل بذيل حمامتك النار ، وإلا ماذا تفعل حمامة بيضاء بين جدران الليل . أم انك ، أم انك تنذر البياض بعينه . نتبعث رسولا يحادثه بلغته ، قلق عليه ، تحذره .

إنها قصائد عن الحب . الحب ولاشيء اخر . الحب ولا شيء يزيده. الحب ولا شيء ينقص . الحب دون أن نحمله أية حقيبة ، أو أية رسالة . لأنه كما تعلمون ، كما يجب أن تعلموا ، يحمل معه دائماً كل شيء . انه مطحون ومعجون بكل شيء . انه كل شيء بذاته .

إنها قصائد حب . قصائد أحاسيس وعلاقات وتجارب . حميمة أو عابرة ، أو حميمة وعابرة معاً . قصائد ثلاثة من البشر ، حين أحبوا ، أو حين خيل لهم أنهم أحبوا ، أو حين تظاهروا أنهم يحبون . إنها قصائد عن فرح الحب ويأسه ، عن سرابه وعن حقيقته .

إذن هو إنذار بالحب : إنذار الحب ، إلى آخرين يحسبونه أمراً منسياً . بل كادوا أن يجعلوه أمراً منسياً حقاً . إنه إنذار الحب إليكم أنتم ، لأنكم أنتم هؤلاء الآخرون . إنذار الحب إلينا نحن ، لأننا نحن هؤلاء الآخرون الذين كنا نخجل من هذه القصائد . الذين نخجل من هذه القصائد الآن . نخجل أن تنشر دون تبرير ، دون مقدمات ، نخجل أن يصدق الآخرون إننا عشاق ، وإننا مهجورون ومتألمون . جمعت قصائد مرام « واحدة من سكان الأرض » وهي غائبة . أخذت دفاتر أشعارها الثلاثة ، ورحت أنتقي مارأيت أنه يهم الآخرين ، وبالتالي يصلح للنشر . وحتى في ماانتقيت أعملت المقص هنا والتعديل هناك . أما محمد « أزهار من حجر » فقد أحضر لي دفتريه الأحمرين المغبرين ، وهو يقول : (خذهما افعل بهما ماتشاء) وكأنه لاعلاقة له بالأمر ، راضياً بالفكرة على مضض . (إنها قصائد ذاتية . ماذا سيقال عني عندما تنشر . ربما كنت مريضاً حين كتبتها . الآن يجب أن تتوجه كتابتي نحو الجميع ، نحو الشجون العامة ، والآلام المشتركة .) ورغم أن هذا صحيح بما فيه الكفاية ، لكن محمد والجميع يعلم هذا ، مثلي ومثله تماماً ، لايستطيع أن يكتب حرفاً واحداً إلا عن الحب . يأتيك بعد ثلاثة أيام ولديه مشروع قصيدة صغيرة ، قصيدة حب صغيرة ، قصيدة حب صغيرة يائسة . أما أنا فلدي مايزيد عن مساهمتي في هذه المجموعة بثلاثة أضعاف . ولم أفكر يوماً بنشر شيء منها . وأعترف إني بجمع قصائد مرام ومحمد وجدت المسوغ الوحيد لي . وكي أموه كل ماسيبدو من عيوبي ، ألغيت عنوان القسم الثالث الخاص بقصائدي « أقنعة العاشق » وأبقيت الاهداء فقط « إلى اثامي » وكأنه أهون علي أن أكون بينكم اثماً ، من أن أكون عاشقاً .

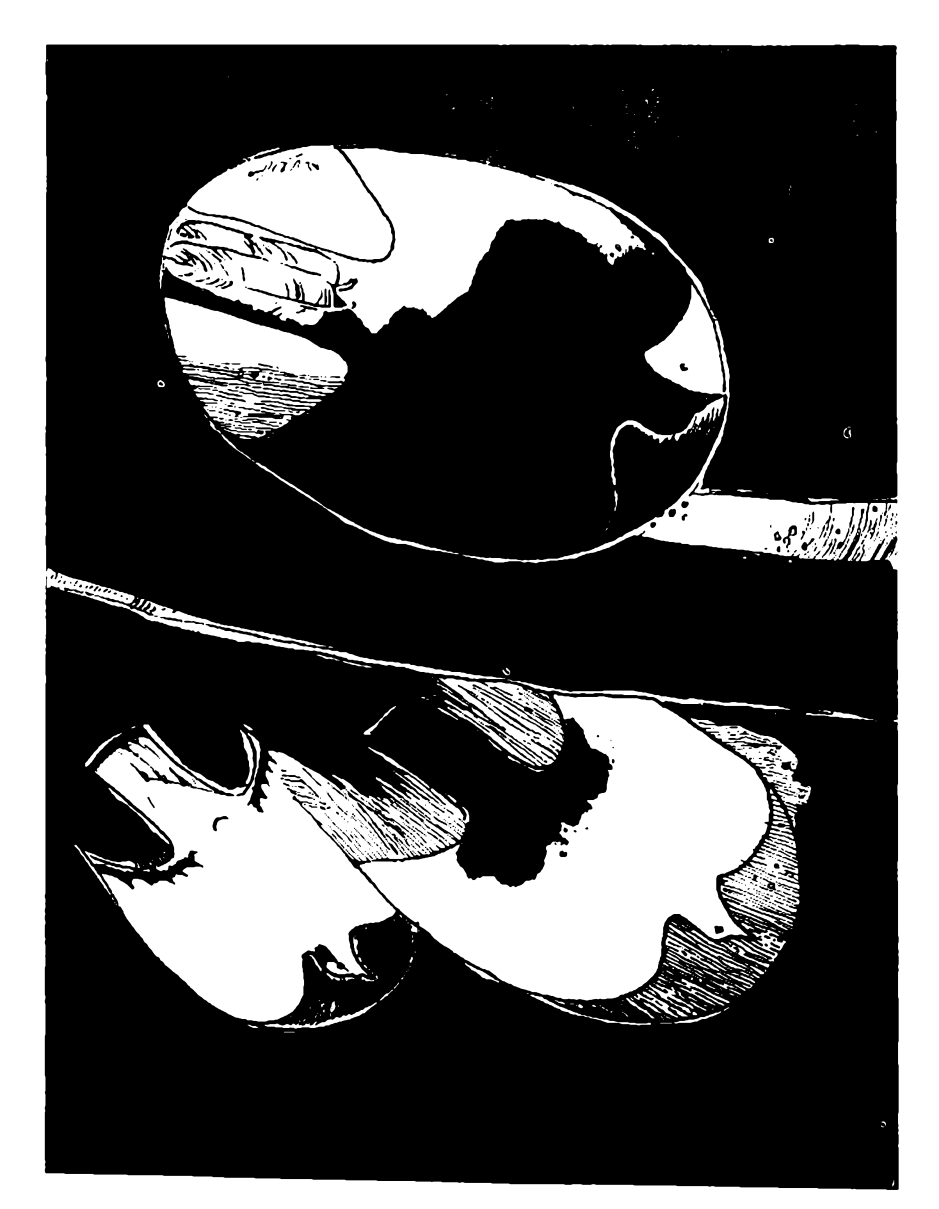
أي عاشق أنت ، في أي مكان ، وفي أي زمن ، أي عاشق أنت بينما الآخرون . . . . أهكذا تجابه هذا الخراب . أهكذا تقف أمام هذا الدمار . .

أجيب : نعم هكذا ، بالحب نجابهه ، بالحب نقف ضده . لأنه عدوه ، لأنه نقيضه ، لأنه هو مانحتاج إليه ، لأنه هو ماينقصنا . لأننا فيه نكون معاً ، ولأننا معه نكون أقوياء ، ولأننا إن لم ننتصر به ، إن لم ننتصر له ، فأي معنى لكل هذا العناء .

وإن كان الأمر الآن في عرف الآخرين ، في عرفكم ، في عرفنا ، في عرف العالم – وأنا لاأؤمن بهذا ولن أؤمن أبداً – قد حسم تقريباً لصالح الكره ، فالسؤال الوحيد الباقي هو : في أي صف سوف تقف ، أو بجانب من سوف تستلقي ولو . . للمرة الأخيرة .

منذر مصري .

• • •



رام وصفي

واحدة من سكان الأرض

مرتبكه

أدندن أمامك

بضع أغان حفظتها عن الحب

تشجعني

فأرفع صوتي .

أنت يامن يحبني

ولا يريد مني شيئاً

جلست مبتهجاً بي

بين أكواب دمي

ومائدة جسدي . .

مشغولة أنا

منذ الصباح حتّى الصباح

أكتب لك أشعاراً

لاتنال رضاك .

انتظر

منهارة ، القوى

التّي حشدتّها لما خلق الشعر لأجله

لاحول لي ولا قوة

على تخوم عطفك . .

أتيتك

لاأتعطر برائحه

ولا أتزين بحليه

أتيتك

على حقيقتي

دون إطار

دون زيف

أتيتك

واحدة من سكان الأرض . .

أحمل قلبي حقيبة
وآتي إليك .

وقبل أن يبتدىء الوقت
تهرع أنت تريد أن ترى
ماأحضرته لك من حلوى
وأهرع أنا
أترك لديك حقيبتي
وأمضي . .

لاتذهب بعيداً

ابق قربي

الغول ذو الأنياب الطويلة

ربما كان امرأة

امرأة جميلة

تخطفك مني .

ابق قربي

لا . لاتذهب بعيداً

فالغول ذو الأنياب الطويلة

ربمـــا

ربما كان رجلاً

رجلاً طيباً

يخطفني منك . .

تعبت كثيراً

لأسطو على قلبك

لالشيء

سوى أن

أنام فيه .

أنا التي

شدت قبضتها على زر

وربطت مصيرها

بابتسامة . .

بعد أن نفضت عني

الحب والبهجة .

الحزن والأمل

وبدوت كشجرة عارية

من الأوراق والثمار

والعصافير

نزعت أزراري من عراك

وقررت

نسيانك . .

بعت أساوري وقرطي

ولم أدفع قسط المدرسة

ماذا تستطيع أصابعي القصيرة

أن تقطف

وأنت تعلم

ليس لقدمي عجلات

وليس لساعدي

أجنحة . .

حط الربيع بجانبي

ولم يتساقَ جزعي

وأمام عيني

وزع حبه بالتساوي

على عشيقاته الأشجار حولي

ثم تربع عالياً

تفاحـــة

حمراء

لامعة

لاتستطيع أن تطولها

أغصاني . .

لديّ

متسع من الوقت

للحزن

متسع من الوقت

للذكريات

لكنّي جئتك

كما يجيء النهر إلى البحر

هاجراً طفولته

وفاقداً عذوبة مائه

لأن لامجرى لي

إلاّ انحدارك

ولا مصب إلاّ

شاطئك . .

انتظرتك ولم تأت

ياالله كم أنا حزينة

لقد ذبلت للتو

الأزهار التي أحضرتها مني

لتتعرف عليك . .

أنت يامن

غالباً يذهب

ليغيب طويلاً

غير مبال

بأمسيات قلبي الكئيبة .

أنت

يامن يلتفت ببراعة

تنساب لها الدموع

دموع عيني المعبأتين بالملح

لتنمحي

خطوط وجهك الدقيقة

وينقفل

بعقدة مفاجئة

حاجباك القاسيان .

بقلب واجف أعلم

أن الشتاء قادم لامحاله

وأنا لاأملك لاستقباله

سوى خمسة

عيدان كبريت

رطبة . .

جاء الشتاء

ولم يحمل معه

سوى البرد والعواصف

وجميعكم هكذا ببساطه

غفرتم له .

أما أنا

التي حملت لكم قلبي

كوردة متفتحة

أو ربما

كوردة محطمة

لم تفكروا سوى بسؤالي

من أين قطفتها . .

سرقتني الأرض من

البحر

لذا ترى شفتي من رمال

وكلماتي صخوراً معشوشبة .

سرقتني الأرض من البحر

لذا ترى عيني سمكتين

ونظراتي صامتة

ورغم أن حلقتي ليستا زرقاوين

لكن دموعي ما زالت

مالحـــة . .

دعاني البحر

لأحلم معه

فذهبت قبل الموعد المحدد

مخافة أن تبدأ أحلامه

بدوني .

أحلام البحر

عريضة وغامضة

- وحلمي أنت -

تزيدها

زرقة وغموضا . .

على شاطىء البحر
تركــت
فردة حذائي .

عبثاً عبثاً أنتظر
لن يأتي
صياد عجوز
تخفى في ثيابه
أمير . .

زرعت البارحة

مساء البحر

حلماً من أحلامي

وفي الصباح

وجد الناس

مركباً شراعياً صغيراً

محطماً على الشاطىء . .

كل الكلمات ياحبيبي

حبـــال

وكل الابتسامات

أقنعة .

ماعدا كلماتي عنك

وابتسامتي لك

الأولى فل وحبق وياسمين

والثانية

ابتسامه . .

منذ سنتين وأشهر

أرسلت إليك خيالي

منذ سنتين وأشهر

يتجسس عليك خيالي .

مضت سنتان وأشهر

وخيالي مقطوعة أخباره عني

وكأنه ضاع فيك

أو ربة

جعل منك

وطنه . .

صنع الله الأرض بستة أيام
وفي اليوم السابع
استراح
ثم حين هم بصنعك
أحتاج الوفا من السنين
وملايين الرجال والنساء .

صنع الله الأرض بستة أيام
ولا أدري ماذا فعل
في اليوم السابع
لكنه حين هم بصنعي
أحتاج بشدة
لرجل مثلك . .

يسأل الله في يوم الحساب

المرء عن أربع

شبابه كيف أمضاه

ماله من أين اكتسبه

وكيف أنفقه

وعلمه وما عمل فيه

وعن جسده فيما أبلاه .

وحين سأمثل بين يديه

جل جلاله

سوف يسألني فقط

عنك . .

تسألني هل أحبك

أكتشف أنك تحب الأسئلة

وتحبني

أجيب أحبك

فلا تسألني المزيد

كيلا أكتشف أنك تحب الأسئلة

فقط . .

ناك أزا

وأنت للجميع .

ياحبيبي وحبيب أختي وصديقتي

أطبش كيلتي بخنصرك

غش بالميزان

وانتقيني . .

أنت سندباد

والنساء مدن

أنت طرزان

والنساء أشجار

فكيف

أغرق بك سفينتي

وأوثقك بأغصاني . .

غريمتي في الشتاء

دمشق

وفي الصيف

البحر .

حلمت البارحة

إنني ركلت البحر على قفاه

وشددت دمشق من شعرها

على الخريطة . .

تذكر
فتحت لك بابي
دون أن تطرقه .

كنت حمقاء
وحسبتك
لاتطرق سوى السجائر والكتب .

*

قرصت معطفك لتتألم
ومع ذلك
لم تعرني انتباهك .

*

رسمتني حلجه

ورحت تلعب

انتبه انتبه

هذا الحجر

الذي تضوح به

هو . .

أعتذر

من الراديو

والتلفزيون

والكتب .

أعتذر من

الحقائق

والأوهام

والحكم .

أعتذر منكم جميعاً

فإن يداً

- أسمع -

تطرق باب قلبي . .

لاأرغب بالذهاب إلى المدرسة

ولا بالصعود إلى القمر

ولا أرغب بالدخول إلى الجنة

ولابقبول دعوة الأصدقاء

إلى النار .

رغبتي . .

أن أبقى هنا

في اللا مكان

جالسة على مقعد أو حجر

دون ذكريات

دون أفكار

دونك

لاأفعل شيئاً

سوى التمتع

بمجرد

الحياة . .

أحياناً

أبتهج

بهجة السماء بالشمس

وأحياناً

أحـــزن

حزن السماء بلا شمس .

سوف أبتاع نصف ورقة يانصيب

وأقوم بمحاولة أخيرة

للسعادة . .

أذهب بعيداً

لاتقلق بحيرتي

لاتعبث كالأطفال

في حديقتي

ولا ترمي كراتك

على نوافذي .

هيا تنحّ قليلاً

عن دربي

إنك تحجب الرؤية عني

وأنا على عجلة من أمري

علي أن أطهو الطعام لأطفالي

وأعد السرير لرجلي .

مابالك تجوس صامتاً

حول منزلي

تمنعني أن أثبت

باقي عرى حياتي .

أيها الماضي

ميت أنت

فكيف هربت من صندوقي

ووجدت طريق العودة إلي :

كما لاأود زجرك

لاأريد أن أفتح لك بابي

ولكن قل لي

ماحاجتك إلي

فلدي الآن

حلم آخر

يشدني وراءه . .

أيها الماضي

صه

حي أنت

وطعامي يحترق . .

مرام

محمد سيدة

أنهار من حجر

لهفتي عليك
تاريخ شاعر
صعد الحلبة
ونازل الهواء
بسيف الكلمة الطيبة .

انتظرت مجيئك
في محطات الشتاء الباردة
وعلى ساعدك معطف سميك
وخلفك حجرة نوم
يسيرك إلي وجهي الشاحب
وقلبي الذي قرع كل باب
وسأل عنك . .

أول بسمة أفتر عنها

ثغر قلمي الجديد

كانت اسم حبيبتي

فيا أيها القنديل

الذي يجوب معي

كل شوارع أحلامي المزدحمة

دمت لتضيء

قلبي ودفاتري . .

عندما تبسمت حبيبتي

أقتحم رف حمائم عاج نضيد

غرفة ذكرياتي الموصدة

فكسا موائدها

بمفارش النغم

وأهدى نوافذها ستائر

حرير وردي متصب

وهمس بإذن الورق

هذه الكلمة . .

قميصك يغرف الابتسام

وما زلت أسير

نظرتي الأولى

وجرحي هرم

ينزف في موضع مهجور . .

وعدتني حبيبتي
أن تمسح تجاعيد وجهي الحزين
وأن تبدل صخور قلبي
بحديقة :

حبيبتي معتكفة هذه الآونة
تطالع تاريخ الابتسامات
وتتعلم مزج ألوان السحر
بالفتنة
لأنها بعد أن تقطر الرحيق في الورد
كل الورد
وتنتهي من صنع أشكال النوم والسهر
قالت

ستفاجئني بابتسامة . .

عندما رأيت الزهر

يرتدي لاستقبالك أحدث

أزياء اللون والنضرة

وتحوزين بلا هوادة

على شهقات تعجب لوحات

القصور والمتاحف

سألتك وقتها :

ياأنت

أين أعلق صورتك الماثلة . . ؟ !

عندما أراك من بعيد

يمزق وقع خطوك

أردية أدراني

وتستقبل إيابك

. بدلاً عني ،

حقيقتي العارية

وهي تستحم

بوابل من صفاء

الماس . .

في ليلة العيد
رفعت اسمك الراية
فوق رنين الأجراس وامتداد
القبل
وفوق غربة سفن تصفر في الميناء
وعلى أعلى برج من أبراج شفتي .
في ليلة العيد

أحببت أن أحملك على كتفي
كنجمة في شجرة ميلاد
وأن نجوب معاً
كل أجيال الفرح
وأن أقول :

ياعيد

هذه حبيبتي

في ليلة العيد

خلعت جسدي وسهرت معك

ولما نمت

نمت في شفتيك إلى الصباح

فاعذريني . .

وتظلين فيما تظلين
ريفي الرائق
وحلم انتشائي بالأنفصال
عن الوقت والعالم
ووجهي المكسور
مضروباً باعصار من الحزن .

ردي سيل الخريف الدافق
عن غدي .
أشتهي
أن يزهر وجهك
بين شفتّي القمر .
خذي العالم

المرفوع لك على يديَّ

بحجارته الخضراء

وشمسه الجديدة . .

أيتها النسيمات الآتيه

من اللانهاية

والتي تأوه على متنها العشاق

أحرّ تمالات التداني .

إني أرنو إلى وجه البحر

وبيدي كأسي

أشرب نخب لونه الأزرق

نخب لون

عينيّ حبيبتي .

رأيت فيما يرى النائم

وجهك مظلة ضوء

تسهر تحتها

كل ذرة من ذرات الأرض . .

ياأنياب الهموم الشرهة
لاتلتهمي عظم ساقي
فأنا أحلم
على وقع خطوي الرشيق
أن أخاصر أحلامي
في حلبة الرقص يوماً .
ياأنفاس السهر الملتهبة
رفقاً
لاتسلي ضوء بصري
لأني أريد دخول قصر سعادتي
دون أن أدوس
جناح نملة تعترض طريقي .
ياسحب اليأس السخية

لاتمطري شفافية أفكاري

بزخات التلبد

لأني أتمنى الذهاب

إلى موعد حبيبتي

بنغم جياش حاضر

وشفتين مشدودتي الوتر

للحزن ياروحي

ألف ساعد

محملة

بألف آلة حرب رهيبة

تدك حصوني وأبراجي العالية .

فإذا ماوجدت أشلائي مبعثرة

وتنضح بالدخان

للميها بأهدابك

وأقبريني بعينيك . .

أعلم بأن منديلي

المضمخ بعطر نقائي

وبراءتي

والذي يحمل أول حرفين

من اسمي ولقبي

ستدوسه قدما أول

صاحب عينين زرقاوين

تراقصه حبيبتي

لأن حبيبتي تفتتن

بالعيون الزرق

وأنا يصلي لنفسه

بعيني

لون العسل . .

عندما عبرت مدى الظلمات

حافياً عارياً .

لأحتمي بتدفق أشعة الشمس

استحالت الشمس

إلى قرص من صقيع .

وعندما تجولت في ميعة نيسان

لأتنسم شذا الأزهار النامية

على ضفاف السواقي

تنسمت الشذا

كرائحة الفحم السام .

حتى السجائر

التي كنت أدخنها بشغف ضار
صار لها نكهة العشب الجاف
المحترق بفمي .

وقد تقولين ياضوء بصري
إن الحب واليأس لايعبران
مجرى النهر بزورق واحد
فلا تصدقي مثل هذا الكلام
فأنا
أستطيع أن أفعل شيئاً
حيال خشيتي من احتمال
انهمار
خناجر فقدانك . .

وجهي ينهار

ويداي متشبثتان بالورد

فأفتحي عينيك علي جيداً

واسندي من تحتي

الأرض .

قلبي آلة تفبرك الأحلام

وأحلامي

بندقية معمرة

أصبع خائن الزمن

دائماً على زنادها

آه

دائماً على زنادها

يسلي فراغه الموحش

بصيد غزلان

سعادتي . .

وجهي إعلان أصفر

يغطي أنباء هزيمتي

ويداك رايتا سلم ورخاء

مرميتان في سلة المهملات .

آه آه لماذا تكتفين الجدران

أمام خفقات قلبي

قلبي الذي أحرق الزورق

وأنذرك بحمامة بيضاء . .

لأني عامل

وعلامته الفارقة

ثياب مغمسة بالزيت الأسود

محسوب على أحلامك

عربة خيول قديمة

سجينة خلف أسوار العناكب

وصفر

مهما قربته من العدد واحد

لايصبح عشرة .

سقطت أحلامي كأوراق التقاويم

وهوى رأس حمامة إنسانيتي

تحت شفرة مقصلتك . .

إذا دقت كف السعادة بابي
بدهشة سأمشط
ذلك الزائر الغريب
من الرأس
حتّى أخمص القدمين ،
: من أنت . . لاأعرفك .

وسأقول لذلك الطائر
الذي طالما عللتني به
شفتا الوهم
إن بينك وبين غصني
جداراً كثيفاً من الصمم
سيحول دون استمتاعي
بإعجاز ألحانك . .

كان وجهي مطرقاً ذليلاً
في غيبوبة ذهول قصيرة
وتقف إلى جانبي نجمة مواسية
أخذتني بحنان إلى صدرها .

وأنت حول المرايا
تدورين وتدورين
لأنك قبلي لم تعلمي
كم أنت جميلة .
كنت أحبك
ودعوتك إلى مائدتي

برفقة عصفور تعلم التغريد عندي

رفضت لأنك

لاتجيدين أدب الجلوس عليها . .

كلا . . لن أكون مجرد

خاتم يصلب رجولته

في أصبعك الصغير

أو رقماً

يسقط في سجل دعارتك الكبير

فأنا عُرفت لدى

كل امرأة أحببتها

بحامل الحنين إلى القلب

رقم واحد . .

امسحي اسمي

من سجلك المهترىء

أرقت ماء المحاة

من تعدد ماحذفت

من أسماء .

اسمي مفرد لايزدوج

في قلب حبيبتي

حتى مع اسمتي

الذهب والزنبق . .

لو لم تكوني

ميتة الإحساس والدهشة

لخنقت في عيني

وتهت

في زحمة الهتاف واللافتة .

كنت أحسبك جزيرة براءة

في محيط كون بربري

وكنت أنوي السفر إليك

لو كنت بشواطىء

ولم تكوني

من صخر وعواصف . ؟

على مرمى لفتة صغيرة من نظري
تنمو وردة
غلفها الجمال بوشاح من عبير
منسوج بخيط من حرير
وخيط من ذهب
في مزبلة تؤمها كلاب الصيد المبتذلة
بلا حساب .

قضيت أنا الذي كنت أستطيع
بفركة مصباح مسحور
أن أبني لها سلماً
بين أناملي وأنفاسي
فصلاً من الأعياء الكامل
أكش الذباب عن وجهها المنمش

وأفلح الوحل حولها بعظامي

لتأكل الخبز النظيف

وأوقد أعصابي لتدفأ

بنار الحقيقة

لكنها وقفت على جلد إنسانيّتي

كبعوضة كششتها آسفاً

لأحطم غرورها . .

بالأمس فقط

رأيت رؤية واضحة

لم تخرق الهواجس المحمومة أطرافها

بأنه يتوجب علي

أن أرتدي الدرع

تلو الدرع

وأن أسن على الصخر

السيف تلو السيف

لأحاور القدر

باللهجة الوحيدة التي بات

يفهمها .

وتأكد لي شيء

لم يفرد عليه طائر الشك

جناحه بعد

بأني سأدخل الحلبة

للفوز بقلب حبيبتي

مع حشاش

يريد أن يجعل من

جسدها البريء

مرحاضاً لشهواته

وسوف تلبس حبيبتي للحشاش

ثوبها الجديد

على مرأى من عين

قلبي الذائب .

أدين بكل الرسالات
على حد سواء
أقرع بالنذور
أضرحة أصحاب المهابة
حضرات الأولياء
وألتهم دون تردد
خبز هموم الفقراء
لو . .
خلعت بدارك
حذائي المثقوب وثوبي الممزق
وجلست تدلكين
بوجد وتفان أخرس
عضلي المتشنج
وأنا أقرؤك حتّى آخر جملة
وأشربك حتّى آخر
قطرة . .

وداعاً أيها الوطن

وداعاً أيها الحبيب

فأنا منذ الآن

غائب عنك . . فيك

لأن لفتات أناملي الجرداء

لاتؤنقها زهرة ألقيت

لي من شرفة امرأة جميلة . امرأة جميلة .

تحرص ألاّ تفك عرى ودادي

حتّى لو قطع حسادي

يديها . .

الحلم الحام

فصل أزياءه الحديثة

على شكل استرسالك بالابتسام

وأوقف الزمن

على حافة شفتيك .

شفتاك شفتاك

حمامتان

تحلقان فوق الشمس

لكنهما تجهلان

عنوان ضفافي . .

المغيب . .

المغيب . .القسري

أسدل ستائره السوداء

على جميع الدموع والألقاب

التي خاطبتك بها .

كان البحر والشاطىء

وعاء مملوءاً بك

وكنت تلدين أحلاماً ميتة .

لماذا تخرجين على حصان البرق

من الأبيض إلى الأسود

وجسدك المشجر

مرصود للجفاف والقحط

على جثث الانتشاء

والقبل . .

حين امتنعت
عن الذهاب إلى البحر
لتستعرضي كعادتك
الصيف على الشاطىء
صار البحر يذهب إليك
ويتجول في المساء
على شواطئك .

أين فر بك الشاطىء مني
يوم أمس . . أين ؟ ! ، وأين
خبأ احتمال
تأبطي لذراعك . .

حين رآوك متلبسة

بحرير النوم قربي

وتفيضين حناناً وبياضاً وقوة

رجموك بسلسلة من الجبال

وهربوا . .

لماذا حينما عرج
بساقه المكسورة
كل الفواصل السوداء
تقرباً منك

رأيت
أزهاره من حجر
وابتسامته
غابة خرجت لتوها من الحريق
وشفتيه ملوثتين بقبلات
مومس فقيرة . .

منذ وصري

...

إلى آتاي

ألم أكن نائماً

عندما أيقظني فجأة

تفتح ضلع آخر من ضلوعي ؟ !

ألم أكن مفترشاً سرير وحدتي

عندما حانت مني التفاتة

فرأيت

رأساً مضيئاً يتوسد ساعدي ؟ !

ألم أكن مطبقاً شفتي

عندما سألتني

كم من السنين انقضت على انتظارك

فأجبتك

ماانقضى منها على

صرختي الأولى . . ؟ !

ماضيك ما يثيرني

ماضيك مايشدني

مشغول بغيابي

مترع بفراغي .

يقف وراءك في صورة شاحبة

ملقياً على كتفك الأيسر

ساعده الثقيل .

لكنه ماضيك

غيب يحدق بي بعينيك

غد

سأمضي إليه . .

أنت لي

بما تناديني به

الأصوات والألوان وبقية نظرتك

القبلة التي تمضي كصدى

بين فمي وفمك .

أنت لي

بما تلقينه على صفحتي

ورويداً رويداً يرسب في قاعي

الموجة التي تشع من سقوطك

وتمحو آثارك .

أنت لي

بما تلمسينه من جسدي

كما أغرس في الأصيص

عرقاً أخضر

يطلع ليكون

عناقك . .

خلفك مضيت
على يميني
آثار خطاك
وعلى يساري البحر .
ولو استدرت عائدة
لرأيت آثار أقدام
عاشقين اثنين
يسيران سوية
على رمال الشاطيء .

كان هناك أنت
التي رأيتني
وناديتك فالتفت
إلى نورس حط بالقرب منك .

وكان هناك أنا

الذي رحت أراقب الأمواج

وهي تتسلل لتمحو

حتى خطواتي الوحيدة .

وكان هناك البحر

والشمس التي سقطت

في حافته البعيدة

كمصكوكة ذهبية

في حصالة بلا قاع . .

حبي لك

ريح تعبث بشعرة شجرة

عطر على جسد غانية

ظل على عينين ليستا لأحد

كعينيك .

حبي لك

صفير مركب يبحر

نظرة بحار

زيارة نورس لمنارة . .

أين أجدك

فوق جبينك

أم تحت عريشة أهدابك ؟ !

أين أجدك

في نيزك ابتسامتك

أم في فضاء صمتك . ؟ !

أين أجدك

على عتبة حيائك

أم عند منعطف ساعدي

حولك . . ؟ !

على درب قدميك
سأفتح نهراً
وأوقف أشجاراً .

على درب قدميك
سأبيع البنفسج مجاناً
وسأعزف على ساعدي لك
ماصرفت الصيف
أغنية عنك . .

لك عينان

عين على عيني

عين على شفتي

لك عينان .

لك يدان

اليسرى على كتفي

اليمنى على ثدي

لك يدان

لك . .

الثانية على عقلي

الأولى على قلبي

لك قدمان . .

كانت أغنامي صخوراً بيضاء
وأشجاري كانت جنداً
ماعدت ذات الرجل
أثير الضجة وألقي
المفرقعات .

افتحي لي بابك الجانبي
فأنت أيتها المزدحمة الصاخبة
لايعوزك إلاّ تعب مثلي
ينتحي فيك حيا هادئاً
ويلعب وهو نصف نائم
البيانو
على أصابعك . .

حين تفرغ كل خوابيه

يذهب . . للحب

نبعه الأخير .

وأنا حين

كل خوابي تفيض

وكل الأنهار تصب بي

أحار لم قلبي لا يرتوي

إلاّ من

عطشك . .

غيرك انكل موائد
تدعوني للكلام
وأنت وحدك
يتماكني صمتك .

ميئوس مني أنا
المصنوع منك
صوت ينتظر شفتيك
نظرة تلوب عن طيفك
وثبة رهن
إشارتك . ■

كلماتي التي

لم تكن عنك

صخباً كانت

قفزة لصفائف جافة

خطا فوق دروب

ليس لها نهاية .

كلماتي التي

لم تكن عنك

صمتاً صارت

فقد توسدها

الغبار . .

القصة بدأت هكذا
في الثامنة إلاّ ربعاً
طرقت بابنا تسألين عن أختي
وكان لي أن أمضي
طريقاً طويلاً إلى عملي
وكأن دماً جديداً
يتدفق في ساقي .

رأيتك للمصادفة
للمرة الثانية في حياتي
ظهر ذات اليوم
آه . . وقتها لم أر
سوى بريق ابتسامتك
وكنت أستطيع أن أطلق

صافرة طويلة
كقطار متعب يعلن وصوله
إلى محطته الأخيرة .

القصيدة ابتدأت هكذا
صباحاً في الثامنة إلاّ ربعاً
طرقت بابنا
وظهر ذات اليوم
رأيت بريق ابتسامتك
وفي المساء
انتظرت ولم يحدث
ماكان يصلح
لختامها . .

ماعاد الرجل يطيق بيته

واحدة دعسته قدماها مرة

فأحل لها عفشه .

على كتفها لايتدلى

سوى الحقيبة

تلك الواحدة دون أن تثني ساعديها

حشرت بها

أحلامه . .

نستطيع القول
كان الباب مواربأ
ولا نستطيع أن ندرك
كيف دخلت بيته ساعة
وخرجت تمنطي قصائده .

من بعيد نسمع حصانه يصهل
ونعلم
حين يكتب بكل قواه عنها
لاتزيد سرعته
عن لهاث قدميه . .

يداك على صدري
وعيناك لاتنظران إلي
هاأنت من جديد تدفعين بي
إلى هاوية قصائدي عناك .

هذه المرة كيلا تغرك ابتسامتي
أنزع عن وجهي قناع بهجتي
ومرة أخرى تسيئين فهمي
ولكن حيث فقدت صوابي
علي أن أجده .

وإن طال انتظاري
سأبقى واقفاً
كل الأصوات الطائشة
تحتشد في أذني

فليكن صمتك إذن
إشارتي .

لم يأت خريفي
لكن سناً لي فسدت
وأصفرت أوراق كثيرة
وأنت ماذا تغيرت
ازداد خصرك هزالاً
وما زال ساعداي الطويلان
يرفضان تصديق أنهما
يطوقانه .

ولقد أجدت مالا ينتظر مني
وما لايتوقع أحد
بدونك على بساطتي

رحت أعد غامضاً

ومعك ليس لي

إلاّ أن ترتجف أصابعي

وأخسر

بقية سحري . .

تسترسلين بالدهشة

وتتسربلين بالضياع واللذة

وأنت متربعة في أحضاني

وكأني

مدينة كبيرة .

وما أنا على حقيقتي

أكثر من حانوت

أو قرية صغيرة

نائية . .

في البدء
أرضي بنا هكذا
وبالصمت
وتظاهري أمام الناس
بالصبر .

يوماً سيكتشفون فجأة
وبعد فوات الوقت
أننا شجرتان
بأغصان كثيفة متشابكة
تظلل

جذعينا المتلاصقين . .

سواعدهم

ثعابين

وعيونهم معبأة حصى

ولكن لاتخافي كثيراً

غداً عندما تخرجين

للمرة الأخيرة

تنبت لك

أجنحة . .

ليكن الحب

خاطفك

ليكن الحب

قاطع طريقك .

بيعي على عجل كل ما لديك

الخفيف يذهب بعيداً

ولا تتعب قدماه

لكن هناك

أثقال القلب . .

أطلّي من كوة ساعديك
وأحسي من أعماقك
انك أسيرة جسدك .

سجانك يرتشي
بقليل من الحلم
وفي الصباح
دون سؤال
يطلق سراح فضائك .

على رأس الجبل
الكواكب تبقى لاتطال
والريح ستذر أوراقك .

هنا على السفح
ستشارك العشب
الذي يسبق النهر
ويغسل قدميك بالندى
وأنت تجرين
حافية في الفجر . .

لاتحبيني السبت والأحد
والاثنين والثلاثاء والأربعاء
أما الخميس
مساءاً فإني أريح متاعبي على الأرض قليلا
وأرنو إلى شباكك
أزيحي بيدك البهية ستائره البيضاء
وابتسمي لي
نصيبي من المسرة .

لاتحبيني السبت والأحد
وأحبي سواي الأثنين والثلاثاء والأربعاء
أما الجمعة
مساءاً فإني أمر بحيك الضيق
ومتاعبي على ظهري

تمهلي تمهلي وأنت تغلقين بابك

وأبتسمي لي هذه المرة

نصيبي من الحزن . .

إن كانت الرغبة
وكان الخوف
كفتي ميزان الدنيا والآخرة
فالخوف معلق بأهداب حبيبتي
وعتمة حدقتيها ،
والرغبة أسيرة هائثة
بين ساعديها الضعيفين
وشفتيها المسافرتين أبداً
في المعاني . .

لايهمني الليل
حين يغط على قراك
مادمت توقدين لي المشاعل
في عينيك .
ولا أخاف من عطش صحاريك
ولا من بعد واحاتك
مادمت أعرف الدرب
إلى الينبوع
في قلبك . .

يحق لك

ألاّ تنبتي في قبضتي

فالورود لاتطلع إلاّ في القلوب

والبساتين .

ويحق لك

ألاّ تنتشي وأنت

وراء ظهري أو تحت إبطي

فالنشوة تأتي من الصدور

والبحار

لا من الكهوف والأقبية .

أبحث عنك متنصصاً كعادتي

فلا أراك خلفي أو

بين أصابعي

أخاف

كيف أنساك وتذهبين

وجسدي يحتفظ برائحتك

كما يحتفظ الله

بأسراره . .

لو ماكانت أصابعي تعبة

وفخذاي باردتين باردتين

كالماء والحجارة

لتهاديت خلفك متسللاً

كلص قديم

وأنا أنتشي لذروتي

بمرأى شتاء

فردوس ظهرك . .

هاجر قلبي

وصار حضني

كنبة خشبية باردة .

ياجميلة

انتظري مابعينيك وأنت جالسه

فعلى وقع أصابع صبرك النافذ

أتمايل أنا

وأغني لك أدوار الغرام البائدة . .

في منتصف الصيف
عند منتصف الليل
تحت نصف القمر
لم تعطني إلاّ
نصف قلبك . .

من الخمور . . خمري النبيذ الأحمر
ومن النساء . .
نبيذي الأحمر . . أنت .
لست أنا من تعرفينه بدونك
ولست أنا من يعرف نفسه
معك .

أقول :
عندما يكون البشر سعداء
لاطعم للفلسفة
ولا حاجة للذكريات .

متاعبي في الخارج
تدخلين أنت فقط
ويغلق الباب .

شفتاك أجمل من عيني

وجسدك أرق من عواطفي

أطمع بالقليل منك

وأنت تسكبين علي كل شيء .

أقول :

هكذا الملك يجلس على المائدة

وهكذا الفقراء

يدخلون الجنة . .

حبك لي على ركبتي

حبي لك

فجأة وأنا لاأصدق

كل ماسأقوله

سيكون لامعنى له

أنت الضاحكة الكثيرة الكلام

صامتة مشغولة

بعرى أزرارك .

حبي لك في حضن

حبك لي

فجأة وأنا لاأصدق

لن أقول شيئاً مهما كان
أنت الصامتة المشغولة عني
ضاحكة مشغولة
بعرى أزراري ● ●

لو كان علي أن أكون
أميراً . . ثم . . ملكاً
لأعلنت الجمهورية
ولو كان علي أن أكون
شاعراً أو مجنوناً
لأطلت لحيتي وعشقت
امرأة واحدة .

ياجماعة
لو كان على المرأة أن
أن تقيم معرضاً
لكل مالديها من روائع

أكان على حبيبتي

أن تتنزه عارية

وهي نائمة على ساقي

وردة مشتعلة . .

رسمتك بنجمة محترقة

وعلى شرشف سريري البارد

فغضبت أمي وصاحت

ومرت العاصفة فوق رأسي .

لاتصفري ولا تخضري

أنت عصفورة السنونو

التي ينكحها المسلم

لبطنها الأبيض

وعطر قدميها . .

فتاة جميلة مقابل شرفتي
فتاة جميلة مقابل النافذة

فتاة جميلة تشير لي

فتاة جميلة تطرق بابي

فتاة جميلة في جيبي
فتاة جميلة على سريري .
فتاة متوسطة الجمال
في قلبي . .

أنت على الشجرة

خير من عشرة في اليد

وأنت في المنام

خير من أربع على السرير .

طاوعيني وكوني

خليلتي

فرغبتي حمراء كالتفاح

وجسدك أبيض

كصحن البورسلين . .

كانت محبوبة فمي

عسلاً

فلعقتها كلها وبت

نادماً .

يارب اجعل محبوبتي

من حجر الصوان

تعقد مابين حاجبيها

وأعبدها إلى الأبد . .

كما المطر ابتدأ
أنت
لكن سماءه كانت داكنة وتنخفض
وسماؤك بعيدة بعيدة
بحيث لاترى
ورغم هذا بيضاء وملونة . .

الارض لاتنام بحضورك
وتلهث حين أحصرك في الزاوية
صباحاً سر الدرب برؤية ساقيك
وحفظ العشب ذكرى جسدك
حيث استلقيت قليلاً
للاثارة .

بقبعتي المصنوعة من القش والسحاب

ووجهي المرسوم بأصابع الأطفال
أدعوك للأستحمام
في ساقية الندى والعرق
والعطر والمسرة
فتهبطين عارية
بجمال فوق الأحلام
وفوق الأساطير
وبأكثر من ذلك بكثير
وكأنك تعشقين المبالغة
تحبينني .

تنسين نفسك على السرير

لكننك تتظاهرين بالحكمة والبراءة

وترسمين على مهل

الخروف والحركات

بمقدرة بيضاء كاذبة .

علاقتك بالنار مفضوحة

بكوني أحتاجك في البرد

وكونك تحرقيني كالجمر

وعلاقتك بالماء مفضوحة

بكونك تثرثرين كالنبع

وتغسليني كالأمطار .

ماعاد يحيرني

لم كل الدروب تذهب إلى بيتك
ولم تصطف على ضفافها الأشجار
خضراء متبرجة أو يابسة وعارية
ماعاد يحيرني
لم القمر يأتي أو لايأتي
يستجدي ويكابر كعاشق
ولم تبحث عنك بلهفة
الريح والنسائم .
مساء سر الدرب لسماع صوتك
فأنصت ملياً لما تقولين
ولسبب ما
تنهد مرات بحسرة

وكانت الغابة تتلاشى بناء على طلبك

والمدينة تنتظرك بفارغ الصبر

أما الشمس فلقد غابت

لأنك كما قلت

متعبة وتودين

النوم . .

*

١٩٨٤ / ٥ / ٢٥٠٠



مطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي

دمشق - ١٩٨٤

سعر النسخة

٥ ل.س.ل